العمل بدلاً عن المدرسة

في العراق جوع متوارث، يبث صورا متعددة بالأسود والأبيض ليلا ونهارا. تظهر بجلاء في طور الطفولة أولا كأجساد نحيلة وعليلة (وبالية)، وكشعور مشعثة وجافة، وكثياب رثة وممزقة (لنكة)، وكوجوه مصعوقة وأقدام حافية وألعاب بدائية قديمة ثيمتها الطين والحصى والرمل والعظام وأغطية القناني والخرق البالية و.... كدمى مستعملة، أو قل نفايات كنستها الدول الغنية من ربوعها الخضراء لتصلنا، ولله الحمد (كبالة/ لنكة) وتتمظهر في نهارات وليالي الحياة العراقية.

في العراق جوع (سبور)، يمضي قدما باضطراد، وأبطاله الكبار، رجالا ونساء، شيبا وشبابا، تراه بإمعان في دشاديشهم وسترهم ومعاطفهم وسراويلهم وقبعاتهم وقماصلهم وجواربهم وأحذيتهم ونعالاتهم، وتراه في أعراض أمراضهم ومعاناتهم وكدحهم وصبرهم وتذمرهم.

□ بغداد/ عبد الكريم العبيدي

مظاهر (اللنكة).. صـور حيّة للفقر العراقي المزمن

في العـراق جـوع حقا حقـا، يتصدر حـوارات الناس في الشوارع والمقاهي والمـدارس والبيـوت وداخـل سيارات الأجرة وفي الصحف والمجلات ونشرات الأخبار والتقارير وفي الأمثال الشعبية و"السوالف العتيكة" والنكات والطرائف القديمة والمستحدثة، جوع مزمن كأساطير وخرافات موغلة في القدم، يتناقلها الأجداد إلى الآباء والأمهات، ويرويها الآباء إلى الأبناء، ويدسها الأبناء في قلوب الأحفاد، "وعلى هالرنه اطحينك ناعم"!

مهرجان ما زال وما يزال

ما زال بعض العـراقيين يشربون ماء الأنـهـر ويسـتـحـمون بـه ويحملونه بالصفائح الصدئة والبراميل (المزنجرة) ويستخدمونه لأغراض الطهي وغسل أواني المطبخ وغسل ثيابهم ما ظهر منها وما بطن، وما يزال الكثير من العراقيين يتـنـاولـون أقـراص الخـبـز مـع الشاي (الحصـة) الـرديء كوجبة فطور، ومع الخضراوات كوجبة غداء، ومع الطماطم كوجبة عشاء – إن صح لهم هذا!

ما زال الكثير من العراقيين يشبعون (أعينهم) بالنظر المقرون بالحسرة إلى الفواكه المستوردة على اختلاف أنواعها وأشكالها، وما يزال العديد منهم يحدقون في (لشش اللحوم المعلكه من اكراعهه) في محال القصابة ويحلمون بالتشريب والقوزي والكباب والتكة والمعلاك والشيخ محشي، ثم يعودون كما هو عهدهم دوما إلى (الكرشه والمصارين والفشة والعظام المعزولـة علـى عتبات محـال القصابين القساة).

مـا زال ومـا زال الكثير من العراقيين يشمون رائحة السمك المسقوف أو اللابط في مياه عربات بيع الأسماك ثم يعرجون إلى شراء أسماك (الـزوري والخشني) ليمنوا أنفسهم برائحة (الزفرة) وليرددوا مثل غيرهم المثل العراقي القـديم (مثل السمكة ماكولة مذمومة)!، بل ما يزال، ما يزال دون شك العديد منهم يطالع الدجاج المشوي والمقلي والمعروض في الأسواق بكل أصناف ماركاته القديمة والجديدة ثـم يكتفي بـشـراء البـيـض انـطـلاقـا من الأهزوجة العراقية الدارجة (مسمارج منج يا لوحة)!.

ما زال العراقيون ينظرون بنصف عين إلى الملابس المسـتـوردة المعروضـة في واجهات المحال الزجاجية، والى الأحذية والشحاطات والملابس الداخلية على اختلاف أنواعها ثم يتسللون سرا أو علنا الى أسواق (اللنكة/ الرحمة)!، ليستروا عوراتهم ويدفئوا أجسادهم بملابس البالة الحمراء والصفراء والخضراء والخاكي، ليظهروا وكأنهم في حفلة تنكرية مجانية شعبية، وما يزال العديد منهم مثابرا ليلا ونـهـارا على تـنـاول لـفـات (الفلافل دبل) كغذاء يومي لا سبيل لفراقه، ولا فرج غيره باعتباره المادة الغذائية الوحيدة المتيسرة والغنية بالفيتامينات التي يسمعون عن (أيها وبيها وسيها وديها) ويسخرون منها في نكاتهم اللاذعة.

ما زال العراقيون، ويا للأسف ينظرون إلى صورة الدولار عبر زجاج واجهات محال الصيرفة ويدندنون بهمس: (مخطرتش على بالك يـوم تسأل عني)!؟، ومـا يـزال جميعهم، ويا للأسف يتعاملون بالدنانير والأربـاع (المشككة) بعدما (زهكوا) من (فلوس صدام المزورة منها أو الطبع ذات (الخط ونخلة وفسفورة).

ما زال العديد من العراقيين يسكنون في بيوت الصفيح والطين والصرائف والبلوك المسفط والمباني الحكومية المنهوبة وتحت الجسور وفي مناطق (الشيشان)، وما يزال الكثير منهم تفتك به أنواع الأمراض المعروفة والغريبة، والمزمنة والطارئة، والمكتشفة أو التي ما زالت في أنابيب المختبرات الطبية.

ما زال العراقي يقف أمام الصحف العراقية المعروضة على الأرصفة كل صباح باحثا عن خبر مزمن وعراقي بامتياز، (زيادة رواتب المتقاعدين، زيادة رواتب المعلمين)، ولكنه لم يعثر يوما على فرص عمل للعاطلين، ولم يحصل يوما إلا على مزيد من البؤس والقهر والحرمان وال..... جوع!.

ما يـزال، نعم ما يـزال وسيبقى العراقي يلعن ذلك اليوم الذي ولد فيه ومعه مهرجان الـ (ما زال وما يزال)، صفة سترافقه وهو ميت لثلاثين عاما قبل أن يموت ميتة أخرى ليبرهن بيقين على جملة شعرية شعبية عراقية شهيرة: (عمر وتعدى التلاثين لا يفلان).

جوع.. جوع

في العراق مجاميع من المتسولين تتوجه "مثلنا" كل صباح إلى أماكن عملها التي باتت مقار ثابتة لهم منذ أعـوام. فمنهم من "احتل" أبواب الجوامع والحسينيات والكنائس والدوائر الحكومية. ومنهم من يستجدي أصحاب السيارات الفارهة وسائقي سيارات الأجرة والركاب. ومنهم من وجد ضالته في الأسواق والشوارع والأرصفة.

فرق الشحاذين في بـغـداد بـاتـت كثيرة وتعمل بـآمـرة "شقاوات" يـوفـرون لهم السكن والحماية مقابل الاستحواذ على أغلب أموالهم، التسول ظاهرة اجتماعية سيئة يصنعها الفقر وانقطاع صلة الرحم وعـدم توفر الرعاية الاجتماعية من قبل الدولة لانتشالهم من هذا العناء والبؤس، خصوصا وأن أغلبهم من كبار السن والعجزة.

الشحاذون في العراق كثر. وصور التسول تعددت. منهم من يرتل آيات من المصحف الكريم، ومنهم من يـردد أشـعـارا دينية بصوت عال. وثمة من يزعم أنه بحاجة لشراء أدوية باهظة الثمن لإنقاذ زوجته من الموت. وهناك من يدعي أنه غريب وقد تقطعت به السبل ولا يملك أجرة العودة الى محافظته. أما حين تشتد المواجهات وأعـمـال العـنـف في مدينـة مـا ويضطر سكنتها إلى مغادرتها فسرعان ما يزعم الكثير من المتسولين أنهم من سكنة تلك المدينة وأنهم باتوا بلا مأوى ويعيشون في العراء.

في تقاطع "المعسكر" الـذي يشهد زحاما خانقا طيلة ساعات النهار، يطوف العديد من المسنين والعجائز والصبية حول العربات المتوقفة ويشرع بعضهم بمسح زجـاج النوافذ بيد ويبسط يده الأخرى للاستجداء فيبادر القليل من السائقين بمنحه ورقة نقدية لا تستحق الذكر.

وقـرب إحـدى سيطرات التفتيش أشار سائق الى فتاة شحاذة تستجدي ركاب العربات وقـال أنـهـا "ذكـر" وليس أنثى ولكنه يرتدي ثوبا نسائيا وحجابا ليحصل على المزيد من عطف الناس وشفقتهم!.

في الكثير من أزقة بغداد وشوارعها يتوزع الكثير من الباعة المتجولين لبيع المناديل الورقية الرخيصة وقطع الإسفنج والمهاف والقبعات والحلويات والسكائر. وغالبا ما يلجأ أغلبهم إلى التوسل والإلحـاح لدفع الركاب والمارة على شراء حاجاتهم من باب الإشفاق ليس غير. فبات "المجبر" على الشراء مضطرا لشراء أية حاجة ليصرف الباعة عنه ويتخلص من منغصاتهم.

وليس غريبا أن نجد بين الباعة هؤلاء شيخا طاعنا في السن نحيفا ومحني الظهر يعرض علبة علكة رخيصة ويتوسل المارة لشرائها. أو نـجـد امـرأة عـجـوز بصيرة يـقـودهـا صبي أشـعـث الشعـر ويرتدي ملابس رثة، وهي تبيع المشروبات الغازية "وتطالب" الـركـاب بمساعدتها لإعالة أيتامها.

وليس غريبا أن نشاهد الكثير من الأطفال المتسربين من المدارس وقد تحـولوا إلى منظفين وصباغي أحذية وباعة متجولين في الأرصـفـة والأسـواق أو حمالين وأصحاب "جنابر".. وليس غريبا أيضا مشاهدة عائلات عراقية بأكملها تنتشر في الكراجات والشوارع والأرصفة لبيع الشاي والأكلات الخفيفة والمرطبات على مدى ساعات النهار الطويلة.

وبقدر ما ينتج عن الفقر وسوء الأحوال المعيشية من صور البؤس هذه، فإنه يدفع بشرائح اجتماعية كثيرة إلى الشذوذ والانحراف والتغريب والتهميش. ولطالما لجأ الكثير من الشباب والأطفال إلى بيع المخـدرات وحـبـوب الهلوسة والصور الإباحية. وكنتيجة طبيعية لاتساع آفة الجـوع الـتـي تفتك بملايين العراقيين وسط انتشار أعمال العنف، برزت ظاهرة ما يعرف "بتجارة الدم" وبيع الكلى بين أوساط الشباب المتسكعين في الشوارع والمقاهي والحدائق العامة، وصار لها سماسرتها "وبورصتها".

الى ذلـك أعلـنـت بعثة الأمم المتحدة في العراق في وقت سابق ، ان نسبة الفقر في البلاد تصل إلى ٢٣٪ مؤكدة أنها تعمل على خلق فرص عمل للشباب في قطاعي النفط والغاز وبناء قدرات المؤسسات الحكومية للاستفادة من الخبرات.

وقال المدير القطري لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي في العراق بيترو بتشيلور خلال مؤتمر صحفي عقد بمقر الأمم المتحدة في بغداد في وقت سابق إن "نسبة الفقر في العراق وبحسب الأرقام المسجلة لدى الأمم المتحدة تصل إلى ٢٣ ٪"، مبينا ان "الأمم المتحدة تعمل على خلق فرص عمل للمواطنين في قطاعي النفط والغاز".

وأوضـح أن "البعثة تقوم ببناء قدرات المؤسسات الحكومية ومجالس المحافظات للاستفادة منها"، مشيرا إلى أن "أحد أكبر التحديات التي تواجه العراق هو الافتقار إلى القابليات التقنية التي تؤطر تقديم المساعدات إلى المستفيدين وهناك ثغرة في القدرات الفنية لتقديم المساعدات".

بدورها قالت الأمين العام المساعد للأمم المتحدة أمة العليم خلال المؤتمر، "تبقى الأمم المتـحـدة في خـانـة الملـتـزم بدعم العراقيين الذين يجب ان يكون برنامجهم الـوطـنـي هـو الأسـاس لأي عـمـل تقوم بـه الأمم المتحدة وخاصة في موضوع الفدرالية لسلامة العراق واستقراره".

لا خيار سوى اللنكة

أسـواق الـبـالات في الـعـراق تنتعش مع انتعاش الفساد المـالي والإداري، ومع انتشار الرشا والمحسوبية والصفقات والشركات الوهمية وكثرة (الحرامية) والمليارات التي ضاعت والمليارات التي ستضيع والشهادات المزورة والتعيينات (ابـكـم ورقـة كـاش)، (وضـاع أبـتـر بين البتران).

أسواق اللنكة تتكاثر وتتسع، وروادها (خير امن الله) بسبب تزايد الفقر وارتفاع المدفونين تحت خطه الأسـود، وارتفاع جحافل العاطلين عن العمل في ظل ارتفاع الأسعار واتساع الهوة بين (الحرامية والـفـكـور)، وإلا لمـاذا يشتري العراقي لأولاده وبناته ملابس العيد وملابس بدء العام الدراسي من اللنكة!؟، ولماذا يعود إلى اللنكة التي هجرها بعد سقوط النظام السـابـق وعـهـده التسعيني الحصاري الأجرب لو لم تهبط القدرة الشرائية إلى الحضيض!؟، بعدما انتعشت/ تنفست الحـالـة الاقـتـصـاديـة للـمـوظـف بـعـد عام ٢٠٠٣، نتيجة للتحسن الـذي طرأ على المرتبات وافتتاح السوق العالمية أمام التجار، لكن الأمـر لم يـدم طويلا بسبب ارتفاع أسعار السوق المحلية دون حدوث تحسن مؤثر في راتب الموظف إلا بنسبة قليلة، لا تتناسب مع الارتـفـاع الجنوني في أسعار السوق وجشع التجار، إضافة إلى تعثر مفردات البطاقة التموينية ذات المنشئ الرديء للغاية!

عربة للفقراء

فقراء يقفون أمام الصحف للبحث عن خبر يزيح جبل الهموم

العراق صاحب أكبر ميزانية.. صاحب أكبر مجاميع تسوّل!

أسواق البالات في البلاد تنتعش مع انتعاش الفساد المالي والإداري

الحـل إذن يبقى في اللنكة، وهـو خيار شريحة واسعة من العراقيين من متوسطي وضعيفي الـدخـل والمسحوقين ومنهم تحت خط الفقر في مختلف مدن العراق، الذين يتوجهون إلى أسواق البالة لتأمين حاجاتهم وحاجات أطفالهم.

وبعد التاسع من نيسان عام ٢٠٠٣ غزت العراق السيارات المستعملة أو ما يعرف بالمنافيست، وأصبح سوق العراق، (سوق اللنكة) مشهورا بإيواء هذه النفايات، التي باتت مصدرا من مصادر التلوث البيئي.

وتـقـوم بـعـض الـعـوائـل بـشـراء العاب الاطفال من "البالة " بسبب عدم قدرتهم على شراء اللعب الجديدة ، الى ذلك يحذر الطبيب جاسم حنون من خطورة هذه الألعاب حيث يقول "هذه الألعاب يجب ان يصرح ببيعها في الأسواق من قبل وزارة الصحة لكن غياب دور الوزارة دفع إلى ان تصل إلى يد الأطفال الصغار وهؤلاء غالبا ما يضعونها بأفواههم وبالتالي احتمالية انتقال الأمراض لهم تكون كبيرة جداً، لذا أرى إن هذه الألعاب كارثة بحق أطفالنا وانصح بعدم شرائها . ويـرى الطبيب ان من المستحسن أن يتم شراء اللعب البلاستيكية لأنـهـا مضمونة ومعروفة المنشأ، ولو كان الأمر بين عدم شراء لعبة أو شراء لعبة مستعملة فليبقى الطفل دون ألعاب أفضل له ولذويه".

دوارة.. مسطر

العديد من أطـفـال الـعـراق يمتهن مهنة (الدوارة)، بينما يتوجه آباؤهم في فجر كل يوم إلى "المسطر" بانتظار فرصة عمل ليوم واحد وغالبا ما يحصلوا عليها بعد يوم أو ثلاثة أيام.. في حين تمتهن الكثير من نسائهم صناعة التنانير الطينية أو البيع في الأرصفة والشوارع.

في حين تبدو صورة أحوالهم من داخل بيوتهم البائسة مزرية حقا، وسط الروائح النتنة وبـرك مياه المجـاري والأسـلاك الكهربائية المبعثرة والمتصلة بأعمدة الكـهـربـاء في الـشـوارع بطريقة رديئة وخطرة للغاية.

اللافت للنظر حقا خروج طالبة جامعية من داخل تلك "القمامة" لتتوجه إلى دوامها في إحدى الجامعات العراقية!!.

وذكـر نـائـب رئـيـس الـوزراء للشؤون الاقتصادية روز نـوري شاويس ، انه تم تخصيص نـحـو ٧١٧ مـلـيـار دينار من الموازنـة الاستثمارية لـعـام ٢٠١٢ بالإضافة الى ١٢٥ مليار دينـار، بهدف دعم إستراتيجية التخفيف من الفقر في الـعـراق، بحسب بـيـان صـدر عـن مكتبه مؤخراً بمناسبة اليوم العالمي للقضاء على الفقر.

وأوضـح شاويس، وهـو رئيس اللجنة العليا لإستراتيجية التخفيف من الفقر في البيان سابق تلقت (المدى) نسخة منه انه "تم تخصيص حوالي ٧١٧ مليار دينار من الموازنة الاستثمارية لعام ٢٠١٢ لدعم مشروع صندوق القروض الصغيرة ومشـروع إزالـة المـدارس الطينية في الـعـراق ومشروع بناء مجمعات سكنية واطئة الكلفة وتعزيز خدمات الرعاية الصحية الأولية"،

وأضـاف "كما تم تخصيص ١٢٥ مليار دينـار منها الى خمس محـافظات لدعم نشاط بناء مراكز لتنمية المـرأة الريفية وأنشطة أخرى من الإستراتيجية، فضلاً عما هو مخصص أصلا لمشاريع تنموية كبيرة تستخدم في جانب مهم منها شرائح الفقراء والمناطق الفقيرة، وبشكل خاص مشـاريـع دعـم الـقـطـاع الـزراعـي وبناء المـدارس في المـنـاطـق الـريـفـيـة وتفعيل أنشطة الرعاية الصحية الأولية.

سوق بيع الملابس المستعملة